

الفصل الخامس

التربية العبادية (الروحية)

- المبحث الأول : العبادة .
- المبحث الثاني : الصلاة .
- المطلب الأول : مراحل التزام الطفل بها .

المطلب الثاني : آثار الصلاة

- المبحث الثالث : الصيام .

المطلب الأول : دليل مشروعية الصيام .

المطلب الثاني : أثر الصيام .

المطلب الثالث : حكم الصيام للطفل .

المطلب الرابع : أثر الصيام في نفس الطفل .

- المبحث الرابع : الزكاة .

المطلب الأول : تعريف الزكاة ، و حكمها ، و دليل مشروعيتها .

المطلب الثاني : الآثار التربوية للزكاة على الفرد و المجتمع .

- المبحث الخامس : الحج .

المطلب الأول : تعريف الحج ، و دليل فرضيته .

المطلب الثاني : حكم الحج للطفل .

المبحث الأول :

العبادة

المطلب الأول : الطفولة مرحلة إعداد لا تكليف

إنَّ الطفولة ليست مرحلة تكليف ، و إنما هي مرحلة إعداد و تدريب للوصول إلى مرحلة التَّكليف عند البلوغ فيسهل عليه أداء ما كان قد أُعدَّ له و درَّب عليه من الواجبات و الفرائض . و ليكون على أتمَّ الاستعداد لخوض غمار الحياة بكلِّ ثقة و انطلاق^(١).

و إنَّ كرمَ الله على الأطفال عظيمٌ فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو أمامة رضي الله عنه : « ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتَّى يدركه الموت إلا أعطاه الله أجر تسعة و تسعين صديقاً »^(٢).

المطلب الثاني : تعريف العبادة

و لئن أردنا توضيح معنى العبادة التي نريد أن نعدَّ الطفل لها قلنا : إنَّها الطاعة المترافقة المترابطة مع كمال الخوف و كمال الحب . لذا قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) و قال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(٤).

(١) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٢٥٢ بتصرّف .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) سورة : آل عمران ، الآية : ١٧٥ .

(٤) سورة : البقرة ، الآية : ١٦٥ .

ثُمَّ بَيَّنَّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ رَبَّهُمْ فَقَالَ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

فالعبادة طاعة مع خوف وحب . و الطاعة منبثقة عن قناعة عقلية بأن الله خالق كل شيء و قادر على كل شيء ، يُدخل الجنة الصالحين من عباده ، و يُدخل النار الأشقياء و الكافرين من خلقه . هو الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمُنْعَمُ ، الْمُتَّصِفُ بِكَمَالِ الصِّفَاتِ . و لذا فإنَّ العقل السليم يحتم وجوب طاعته و الرضا به رباً .
و نحن هنا سنركِّزُ حديثنا عن العبادات الفردية لأنَّ بحثنا تربويٌّ يدرس تربية أفراد المجتمع أو أطفاله على نحو خاص .

المطلب الثالث : العقيدة أصل و جوهر ، و العبادة فرع و تجسيد

و هنا لابد من التأكيد على أنَّ الأحكام التشريعية العبادية إنما هي منبثقة عن القاعدة الأساسية ألا و هي الإيمان بالله و الكتب و الرُّسل و اليوم الآخر و القدر خيره و شره من الله .
فلو انعدم إيمان المسلم برسالة سيدنا محمد ﷺ و نبوته لما كان هناك صلاة و لا صوم و حجّ و لا زكاة .

و باعتبار أنَّ العقيدة أصل و عنها قد صدرت العبادة فإنَّ فصل العبادة عن العقيدة يعتبر بمثابة فصل الشجرة عن جذرها ، فعندئذٍ مصير هذه العبادات الزوال و الانطفاء كما أنَّ مصير هذه الشجرة الموت و الدُّبول . و ذلك أنَّ العبادة هي التَّرجمة المحسوسة لصدق الإيمان و حسن تركُّز العقيدة في قلب المؤمن .

المطلب الرابع : تكامل العبادة مع العقيدة في بناء الشخصية

إن الناظر الباحث يرى أن العبادة لها دور كبير في تكامل بناء الشخصية مع العقيدة . فالإيمان بالله ((يجعل المسلم قادراً على مواجهة الفشل و الإحباط لأنه بلمس شافٍ من اليأس و تحصين ضدَّ الندم و الأسف على ما فات ، كما و يفتح باب الأمل فيجابه المؤمن الحياة آملاً بالله متوكلاً عليه راجياً منه التوفيق ، فهو رضي النفس بما تأتي به المقادير ، سعيد بالنتيجة على كلِّ حال))^(١) .

أما العبادات فمهمتها من خلال اتصالها بمحطة التزويد بالطاقة ضخ الروح المعنوية في نفس المؤمن كلَّ يوم ، و بأساليب متنوعة ، فمرة بالصلاة ، و مرة بتلاوة القرآن ، و أخرى بالذكر و الاستغفار .

و قد جاءت النصوص القرآنية الكريمة لتعبّر عن العقيدة بالإيمان ، و عن الأحكام الشرعية العملية بالعمل الصالح المنبثق عن أصول هي الإيمان فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ نتيجتهم ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾^(٢) .

المطلب الخامس : أثر ترسيخ المحافظة على العبادة في نفس الطفل منذ صغره

((إنَّ النُّوَّاحِي العِبَادِيَّةَ مِنَ الأُمُورِ المِهْمَةُ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ أَخْذِهَا بِكُلِّ اهْتِمَامٍ وَ جَدِّيَّةٍ عَلَى طَرِيقِ تَكْمَلَةِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ ، وَ تَتَمَّ هَذِهِ الْخَطْوَةُ عَنْ طَرِيقِ الْوَالِدِينَ وَ الْمُرَبِّينَ بِأَنْ يَعُودُوا الطِّفْلَ عَلَى مِمَارَسَةِ الأُمُورِ العِبَادِيَّةِ مِنْ صَوْمٍ وَ صَلَاةٍ وَ مَا شَابَهُ ذَلِكَ))^(٣) . والغاية من ذلك ترسيخ قيم العبادات داخل نفس الطفل و إن لم يدرك معناها في المرحلة الأولى إدراكاً عميقاً أو شاملاً .

(١) سهام مهدي جبّار ، الطّفْل في الشّريعة الإسلاميّة ، ص ٢٦٢ _ ٢٦٣ .

(٢) سورة : الكهف ، الآية : ١٠٧ .

(٣) سهام مهدي جبّار ، الطّفْل في الشّريعة الإسلاميّة ، ص ٢٦٥ .

فإن ممارسته لهذه الطاعات و تشجيعه على متابعتها و عدم تركها أبداً من شأنه أن يعزز في داخله تعظيم هذا الفعل السلوكي العبادي فلا يصعب عليه إذا ما شبَّ و اشتدَّ عوده المحافظة على هذه الطاعات خاصة إذا ترافقت هذه الطاعات مع تنمية عقله تنميةً تساعد على فهم المقاصد من هذه العبادات و هذه الطاعات التي يمارسها يومياً ، و عندئذٍ نجد أن هذه العبادات تشغل حيزاً مهماً من تفكيره و اهتماماته مما يعني تعزيز القواعد الإيمانية و الركائز الروحية و العبادية في كيانه على نحو عميق و شامل .

و ما من شك أنه ساعتئذٍ سيؤدي هذه العبادات المباركة بإرادة حرة و إيمان عميق بصحتها و صواب ممارسته لا سيما أن المربين من الوالدين و الأخوة الكبار و المدرسة و كافة المؤسسات التربوية الأخرى تسهم في إنماء الدوافع الإيمانية لدى أطفالنا .

و جميل قول سيدنا علي كرم الله وجهه : ((إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها شيء إلا قبله)) .

فلنلق في هذه الأرض ما صلح من البذر كي تعطي ثماراً طيبة مباركة . و جميل قول من قال : ((و لكن لا بد لكى يظل غرس العقيدة قوياً في النفس من أن يسقى بماء العبادة و بمختلف صورها و أشكالها ، فعند ذلك تنمو العقيدة في الفؤاد و تترعرع))^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ فكفي نحتلى بالمنزل الطيب الكريم الذي أعده الله للذين آمنوا و عملوا الصالحات يجب أن نعمل على تربية أطفالنا تربية عبادية روحية .

نم عندما نقول التربية الروحية أو العبادية إنما نعني بذلك زيادة ارتباط المخلوق بالخالق و تعميق هذا الارتباط بمزيد من المعرفة و بمزيد من العمل . و عندئذٍ تقوى الرابطة الروحية لأن القوة من الناحية الروحية عند الإنسان هي نتاج عمق الصلة بالخالق و ذلك عن طريق حسن

العبادة و حسن التوجّه و حسن الإخلاص لهذا الخالق الكريم القدير .

المطلب السابع : ركائز العبادة في الإسلام

و من تتبّع هدي الرسول الكريم ﷺ يظهر له أنّه ركّز على أربعة ركائز أساسية هي محور العبادة في الإسلام . وهي : الصلاة ، و الزكاة ، و الصيام ، و الحج .
و ها نحن نبيّن فيما يلي ما يتعلق بكلّ واحدة من هذه الركائز الإيمانية ببحثنا هنا .

المبحث الثاني :

الصلاة

المطلب الأول : مراحل التزام الطفل بها

و إتيانها من قبل الطفل يمرُّ بمراحل ثلاث كما يلي :

١ - مرحلة الأمر بالصلاة

تعويداً للطفل على أداء هذا الفرض العبادي العظيم قد شرع الله التدرج و المرحلية . فالرحلة الأولى تبدأ من ساعة تمكن الطفل من الوقوف بين يدي والديه في الصلاة أو محاكاتهما . فقد روى عبد الله بن حبيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة »^(١).

٢ - مرحلة تعليم الطفل الصلاة

إن الفترة التي يجب فيها على الوالدين و المرين عموماً أمر الطفل بالصلاة و تعليمهم أركانها و شروطها و مفسداتها و واجباتها قد حددها النبي صلى الله عليه وسلم بسنن السابعة ، تلك السن التي ترافق بداية المرحلة الابتدائية .

فقد روى سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها »^(٢) . و في رواية « علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين و اضربوه عليها ابن عشر سنين »^(٣).

(١) أخرجه الطبراني .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٢ / ١٥٢ . قال المحقق الأعظمي : إسناده صحيح .

رسول الله ﷺ يعلم الصغار الصلاة

لقد كان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة .
فقد روى الحسن بن عليّ رضي الله عنه قال : علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، و تولني فيمن توليت ، و بارك لي فيما أعطيت ، و قني شرّاً ما قضيت ، فإنك تقضي بالحقّ و لا يقضى عليك و إنّه لا يذلّ من واليت ، تباركت ربّنا و تعاليت »^(١) .

كما كان رسول الله ﷺ يصحّ الأخطاء لبعض الأطفال في العبادات .
فقد روت أم سلمة رضي الله عنها أنّها قالت : رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا يقال له أفلح . إذا سجد نفخ . فقال له رسول الله ﷺ : « يا أفلح ترّب وجهك »^(٢) .
كما أنّ النبي ﷺ كان كذلك يعلم الأطفال الأذان .

فقد قال أبو محذورة^(٣) : خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ - و هو أبغض الناس إلينا - فأذّنوا فقمنا نوذّن نستهزئ بهم ، فقال النبي ﷺ : « اثتوني بهؤلاء الفتيان » فقال : « أذّنوا » فأذّنوا و كنت أحدهم ، فقال ﷺ : « هذا الذي سمعت صوته . اذهب فأذّن لأهل مكّة » فمسح على ناصيته و قال : « قل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .
أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد ألا إله إلا الله .
حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة .

(١) أخرج أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن خزيمة في صحيحه ٢ / ١٥٢ . قال المحقق الأعظمي : إسناده صحيح .
(٢) أخرجه الترمذي . و إسناده ضعيف . انظر جامع الأصول ، ت : عبد القادر الأرناؤوط ٥ / ٥٠١ .
(٣) رواية حديث أبي محذورة رويته بعدة روايات مختلفة اخترنا الأنسب للتوجيه من زاوية الأحكام العملية الشرعية المبتوثة في كتب الفقه الإسلامي . قال محمد نور عبد الحفيظ : ((فالحديث قد يكون منسوخاً من الناحية الفقهية ، و لكنّه ليس منسوخاً من الناحية التربوية)) . منهج التربية النبوية ، ص ٢٥٤ .

حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

و إذا أذنت بالأول في الصبح فقل : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم .

وإذا أقمت الصلاة فقلها مرتين : قد قامت الصلاة . أسمعت ؟ .

كان أبو محذورة لا يجزّ ناصيته ولا يفرقها لأن رسول الله مسح عليها «^(١)» .

و كان رسول الله ﷺ يوجّه خطاباً قبل كل صلاة ليوقف الأطفال في الصف الأخير .

فقد روي عن ابن مسعود ؓ قال : كان النبي ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استنوا

ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، لئيليني منكم أولو الأحلام والنهي - هم الرجال البالغون - ثم

الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »^(٢) .

كما وجّه الرسول ﷺ نداءه إلى الأطفال كي لا يلتفتوا في الصلاة يمناً أو يسرى .

و هذا كلّ ما كان ليحدث لولا اهتمام الرسول الكريم ﷺ بتعليم الأطفال الصلاة . فقد أخرج

الترمذي عن أنس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بني إياك والالتفات في الصلاة ، فإن

الالتفات في الصلاة هلكت ، فإن كان لابد ففي التطوع ، لا في الفريضة »^(٣) .

صحابة رسول الله يعلمون الأطفال الصلاة

لقد اهتدى الصحابة بهدي الرسول ﷺ فشرعوا يعلمون أطفالهم الصلاة . فهذا هو عليّ

كرم الله وجهه يدعو الحسين فيعلمه كيفية الوضوء ، و يجيبه عن استفساراته فيه .

فقد روي عن الحسين بن علي ؓ أنه قال : « دعاني أبي عليّ بوضوء ، فقربته له

فبدأ فغسل كفه ثلاث مرّات قبل أن يدخلها في وضوئه ، ثم مضمض ثلاثاً ، و استنشق ثلاثاً ثم

(١) أخرجه مسلم و أخرجه الدارقطني ١ / ٢٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه الترمذي ، في باب الصلاة ، رقم ٥٨٩ ، و فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

و انظر جامع الأصول ٥ / ٤٩٧ ، ت الأرنؤوط . و انظر شرح السنّة للبعوي ٣ / ٣٥٣ .

غسل وجهه ثلاث مرّات ، ثمّ غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، ثمّ اليسرى كذلك ، ثمّ مسح برأسه مسحة واحدة ، ثمّ غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ، ثمّ اليسرى كذلك ، ثمّ قام قائماً فقال : ناولني . فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه ، ثمّ شرب من فضل وضوئه قائماً . فعجبت ، فلما رأني قال : لا تعجب ، فإنّي رأيت النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيتني صنعت . يقوم لوضوئه هذا ، و شرب فضل وضوئه قائماً» (١) .

ووجه الصحابي الجليل نصيحته إلى الآباء و الأمّهات قائلاً ((حافظوا على أبنائكم في الصلّاة ، و عودهم الخير ، فإنّ الخير عادة)) (٢) .

كيف يعلم المعلم الطّفل الصلّاة في المدرسة

من الممكن تخصيص غرفة للصلّاة يتعلم بها التلاميذ الصغار الصلّاة . و إذا ما حان وقت الصلّاة أمر أحد الطّلاب أن يرفع الأذان من خلال ميكروفون المدرسة بوضع شريط للأذان أو من قبل أحد التلاميذ أو المعلمين . ثمّ يراقب المعلم طلابه وقت الصلّاة ويرشدهم للأداء الصحيح لهذه الفريضة . و الأمور التي يجب أن يتعلّمها الولد مسائل الطّهارة و ستر العورة .

٣ - مرحلة الأمر بالصلّاة و الضّرب على تركها

لقد توضّح من خلال الأحاديث النبويّة الشريفة سابقاً أنّ المرّبي يأمر الولد بالصلّاة و هو في سنّ السابعة . و لذا فإنّ المرّبين العظام كانوا يوصون أولادهم بالصلّاة . فهذا لقمان الحكيم يوصي ابنه فيقول له كما في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٣) . و إقامة الصلّاة على الوجه الشرعي يقتضي إتيانها على ما تقتضيه الأركان و الشّروط و الواجبات على نحو تامّ و صحيح .

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) سورة : لقمان ، الآية : ١٧ .

غير أنّ هذا الطفل إذا نذت به نفسه ، ودفعته إلى طرائق اللهو والعبث كان على المربي أن يضربه ضرب المعلم المربي المشفق لا ضرب المنتقم ، وذلك كي يضعوا الطفل في موقع الجدية وليعلم أنّ هذا الأمر جدّ لا هزل فيه ، فعل لا قول .

و يشترط في الضرب أن يؤلم بعض الشيء لا أن يشوّه أو يجرح .

ففي هذا يقول المربي ابن سينا : ((وليكن أول والضرب قليلاً موجعاً كما أشار به الحكماء . فإنّ الضربة الأولى إذا كانت موجعةً ساء ظنّ الصّبي بما بعدها واشتد خوفه ، وإذا كانت الأولى خفيفةً غير مؤلمة حسن ظنّه بالباقي فلم يحفل به))^(١).

وقد فصل المربون المسلمون في قضية الضرب نظراً لمالها من المحاذير ، وهم بذلك يوصون المربين بالانتباه . فقد قال ابن خلدون : ((لا ينبغي لمؤدّب الصّبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً لأن إرهاف الحدّ بالتعليم مضرّ بالمعلم ، ولا سيّما في أصغر الولد . ومن كان مرباه بالعسف والقهر سطا به القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له عادةً وخلقاً . فينبغي للمعلم في متعلّمه ، والوالد في ولده أن لا يستبدّا عليهما في التأديب))^(٢).

وعلى كلّ حال فإنّ تدريب الطفل على الصّلاة يتمّ وفق رغبته ، ووفق استعداداته وميوله كلّ ذلك وفق ملاحظات المربين ودراساتهم حول ما يروونه من مظاهر صادرة عن هذا الطفل أو ذاك .

٤ - مرحلة اصطحاب الأطفال إلى المساجد لصلاة الجماعة

الصلاة فريضة عبادية غير أنّ لها من الفوائد والثمار الكثيرة . فهي تشدّ المؤمنين إلى بعضهم برباط الإيمان ، تقويّ الرابطة الاجتماعية بحصول التعارف داخل المساجد .

(١) لويس شيخو وآخرون ، مقالات فلسفية لشاهير المسلمين والنصارى ، ص ١٣ .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٤٠ .

فكم هو فعل حسن أن يصطحب الآباء والمربون الأطفال إلى المساجد وقد ارتدوا اللباس الأبيض النظيف ، متطهرين للصلاة ، متوضئين لها الوضوء التام كما ورد عن رسول الله ﷺ ويقبل المربون مع أطفالهم إلى المساجد ، وقلوبهم عامرة بالإيمان مشتاقة للمثول بين يدي ربها طمعاً بمرضاته وجنانه ، وخوفاً من غضبه وناره .

فالصلاة في المسجد لها من الأجر الكبير والفوائد الجمّة ، لأن غاية المسجد ((طهارة النفس من الآثام والمعاصي والعداوة والحسد . وهذه كلها تمحوها المساجد إذ يجتمع الناس مراراً في كل يوم على سلامة الصدر وبراءة القلب وروحانية النفس ، ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزّهة ، مسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذي يُسمى الوضوء كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا من أعضائه قبل دخوله المساجد))^(١).

وقد علمنا رسول الله ﷺ فضل الصلاة في المسجد جماعة فقال : ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ زِيَادَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَ مَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَعَا))^(٢).

ويمكن تلخيص الفوائد التي يجنيها الطفل من الصلاة في المساجد على النحو التالي :

- ١ - يحس بقوة ارتباطه بجماعة المصلين من المؤمنين الذين هم أبناء مجتمعه في الحي والبلدة .
- ٢ - ينمو عنصر الأخوة الصادقة ، فيشعر الطفل أنه آخ قريب لكل الذين صلوا معه في المسجد .
- ٣ - المسجد بيت الله يشعر القادم إليه أنه في ضيافة الله ، وعليه أن يراقب نفسه في هذا البيت أكثر من أي مكان آخر ، مما يجعل مشاعره تسمو في أجواء رحبة عامرة بالروحانية الصادقة و التقوى العامرة .
- ٤ - يتعلم الطفل بصلاة الجماعة في المسجد الترتيب والتنظيم ، وتوحيد الصفوف المعبرة عن وحدة القلوب .

(١) عفيف طبارة ، روح الصلاة في الدين الإسلامي ، ص ٢٢١ .

(٢) صحيح مسلم ، باب فضل من استمع وأنصت للخطبة .

- ٥ - تصيغ صلاة الجماعة في المسجد الطفل صياغةً خلقية ، فيتشكّل لديه إحساس يوميّ بتفقّد إخوانه المواظبين على الصّلاة جماعة معه ، و بدأ يتكوّن عنده الدّافع للاهتمام بشؤون النّاس عامّة
- ٦ - يجيد آداب السّماع إلى الوعظ والإرشاد .

٥ - مرحلة حضور صلاة الجمعة

صلاة الجمعة الفرضية الواجبة على المسلمين أن يحضروا لأدائها كلّ يوم جمعة فيستمعون الوعظ من الخطيب بأذان صاغية ، وعقول واعية .

وجميل أن يصطحب الآباء أولادهم لحضور هذه الصّلاة الجامعة . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ ، إِلَّا مَسَافِرًا ، أَوْ مَمْلُوكًا ، أَوْ صَبِيًّا ، أَوْ امْرَأَةً ، أَوْ مَرِيضًا . فَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا بِلَهْوٍ أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ . وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ))^(١) .

وروي عن طارق بن شهاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((الجمعة واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبيّ أو مريض))^(٢) .

وأما جعل الصبي يرتاد المساجد في الجمعة وغيرها فمن أجل حسن تربيته إذ هو بذلك يحصل فوائد كثيرة منها^(٣) :

- ١ - عندما يبلغ يكون معتاداً على إقامة صلاة الجمعة .
- ٢ - بسماعه الخطبة يلتقط أحاديث الإيمان خاصة أنّه في سن يحسن فيه الاستقبال . وله فيها تدريب على سماع الموعظة والعلم .
- ٣ - يتألّف مع مجتمعه ويتعارف بالنّاس . إضافة إلى أن حضوره يزيد في مخزونه المعرفي الاجتماعي والإنساني .

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه أبو داود و الدّارقطني .

(٣) استفدت من كتاب محمد نور بن عبد الحفيظ ، ص ٢٥٨ بتصرف .

٤ - على رأي مَنْ قال : بأن الساعة المستجابة في يوم الجمعة هي لحظه الخطبة ، يكون الطفل بحضوره لصلاة الجمعة من الحاضرين لهذه الساعة المستجابة التي حدّث عنها رسول الله ﷺ .

٥ - تُزوّد صلاة الجمعة الطفل بطاقة إيمانية روحية تجعله قادراً على أداء الصلوات الخمس .
وتساعده على أداء الطاعات الأخرى بين الجمعة والجمعة .

٦ - يتعرّف الطفل من خلال صلاة الجمعة على علماء الأمة مما يجعله محترماً لهم مقدراً لعلمهم .

٦ - مرحلة الأمر بقيام الليل و نموذج من أطفال السلف وهم يقومون الليل

إنّ الطّاقة الإيمانيّة إذا تولّدت في قلب الطّفل تفعل الأعاجيب ، فهو لا يكتفٍ بأداء الفرائض بل سرعان ما يتفاعل مع العبادة والطّاعة ، فيرتقي إلى أداء النّوافل ليلاً أو نهاراً .

فقد أخرج روي عن ابن عباس ؓ قال : بتّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي ﷺ و كان النبي ﷺ عندها في ليلتها ، فصلّى النبي ﷺ العشاء ، ثمّ جاء إلى منزله فصلّى أربع ركعات ، ثمّ نام ، ثمّ قام ، ثمّ قال : « نام الغلام » أو كلمة تشبهها ثمّ قام فقامت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلّى خمس ركعات ، ثمّ صلّى ركعتين ، ثمّ نام حتّى سمعت غطيّته أو خطيّته ، ثمّ خرج إلى الصلاة^(١) .

وفي رواية عنه أيضاً ؓ قال : بتّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث فتتبع كيف يُصلّي رسول الله ﷺ ثمّ قام يصلي ، فجئت فقامت إلى جنبه ، فقامت عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه^(٢) .

من هذا يظهر حرص الطّفولة المباركة طفولة السلف على تتبّع سكنات وحركات النبيّ الرّحيم والرّؤوف ﷺ الذي راح يهتمّ بصلاة الصّغير يحوله من يساره إلى يمينه .

وإنّ المرء ليمتلكه العجب من نباهة بعض الأطفال الذين أثار الإيمان قلوبهم .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه ابن خزيمة .

وإليك هذه المحاوراة المجسدة لذلك بين الطفل أبي يزيد (طيفر بن عيسى) البسطامي وأبيه . قال الشيخ ابن ظفر المكي : بلغني أن أبا يزيد (طيفور بن عيسى) البسطامي رضي الله عنه لما حفظ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) قال لأبيه : يا أبت من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بُنَيَّ ذلك النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم . قال : يا أبت مالك لا تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بُنَيَّ إنَّ قيام الليل حُصَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبافتراضه دون أمته . فسكت عنه . فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ ^(٢) قال : يا أبت إنني أسمع أن الطائفة كانوا يقومون الليل . فمن هذه الطائفة ؟ قال : يا بُنَيَّ أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . قال : يا أبت فأبي خير في ترك ما عمله النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟! قال : صدقت يا بني . فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي . فاستيقظ أبو يزيد ليلاً ، فإذا أبوه يصلي ، فقال : يا أبت ! علمني كيف أتطهر وأصلي معك فقال أبوه : يا بُنَيَّ أرقد فإنك صغير بعد . قال : يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشناتاً ليروا أعمالهم ، أقول لربي : إنني قلت لأبي : كيف أتطهر لأصلي معك ؟ فأبى وقال له والده : أرقد فإنك صغير بعد . أتحب هذا ؟ فقال له أبوه : والله يا بُنَيَّ ما أحب هذا . فعلمه فكان يصلي معه ^(٣) .

٧ - مرحلة الأمر بصلاة الاستخارة

روي أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « يا أنس إذا هممتَ بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك ، فإن الخير فيه » ^(٤) .

(١) سورة : المزمّل ، الآية : ١ - ٢ .

(٢) سورة : المزمّل ، الآية : ٢٠ .

(٣) ابن ظفر المكي ، أنباء نجباء الأبناء ، ص ١٥٠ .

(٤) أخرجه ابن السني .

٨ - مرحلة اصطحاب الأطفال لصلاة العيد

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين مع الفضل بن العباس و عبد الله بن عباس و العباس و علي و جعفر و الحسن و الحسين و أسامة بن زيد و زيد بن حارثة و أيمن بن أم أيمن رافعاً صوته بالتَّهليل و التَّكبير ، فيأخذ طريق الحدادين حتَّى يأتي المصلَّى ، فإذا فرغ رجع على الحدَّائين حتَّى يأتي منزله ^(١) .

المطلب الثاني : آثار الصَّلَاة

فإذا كانت النصوص القرآنية و الحديثية قد طلبت من المربِّين إقامة الصَّلَاة فهذا يعني أن الصَّلَاة لها مكانة عالية هامة بين الأركان . فما السرُّ وراء ذلك ؟ .
الجواب : إنَّ للصَّلَاة آثار خلقية و نفسية و اجتماعية .

١ - آثار الصلاة الأخلاقية

إنَّ استمرارية المؤمن في أداء الصَّلَاة سيورث في نفسه ولادة المشاعر الحية الراقية التي تدفعه نحو فعل المكرمات واجتناب المذمومات من الأفعال . وهذا ما أظهره القرآن مبيِّناً ثمرة الصلاة حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ^(٢) .
والابتعاد عن المنكر يأتي نتاجاً لقراءة القرآن وتدبره والتَّسبيح والحمد والركوع والسجود .
هذه الشعائر تربط الإنسان بخالقه و تنمِّي الصلَّة الروحية ، و تهذب مشاعر الإنسان ليكون متعالياً على سفاسف الأمور وقبائحها .

٢ - آثار الصلاة النفسية

الصَّلَاة صلة بين العبد وربِّه ، يتقرَّب بها منه مناجياً متضرعاً خاشعاً لذا قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ المناجي يناجي ربَّه عزَّ وجلَّ فلينظر بما يناجيه)) ^(١) .

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، ٢ / ٣٤٣ . قال المحقق الأعظمي : إنَّه ضعيف .

(٢) سورة : العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

ومناجاة العبد لربه خمس مرات في اليوم تبعث فيه القوة والطمئنان ، مما يجعله مستقراً عزيز النفس لأن اتصاله بالله القادر على كل شيء الذي منه تستمد القوة ، ونلتمس العون و نطلب الصفح والمغفرة . وإذا ابتعدنا ظهر القلق والاكتئاب علينا لأن الصلاة تسبب وذكر وعبادة و بالذکر ترتاح القلوب وتصفو النفوس فقد قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(١) .

٣ - آثار الصلاة الاجتماعية

إن مظاهر الصلاة توحى بالارتباط الاجتماعي ، فالمصلي يرتبط بالإمام الذي يركع فيركع الناس معه ، وإذا انتصب واقفاً انتصبوا واقفين . وهكذا كانوا معه في كل الصلاة . وهم يجتمعون في المساجد خمس مرات في اليوم ، وفي يوم الجمعة كان الاجتماع لزاماً عليهم كي يسمعون نصح الخطيب ، وإشارات اتجاه ما يواجهونه في حياتهم اليومية .
إن هذا من شأنه أن يشدهم إلى بعضهم بأقوى الروابط لأجل أكرم المقاصد ، وأنبيل الغايات . يأمرونهم في سن السابعة بداية تفتح قدرات الطفل على التلقي ترغيباً و تحبيباً بهذه العبادة الكريمة .

(١) أخرجه أحمد في المسند .

(٢) سورة : الرعد ، الآية : ٢٨ .

المبحث الثالث :

الصَّيَام

المطلب الأول : تعريف الصَّيَام ودليل وجوبه عامّة

تعريف الصوم :

هو العبادة التي يمتنع فيها المسلم عن الطَّعام والشراب و الجماع من الفجر حتى غروب الشمس .

دليل وجوب الصوم :

ولقد ثبت وجوب الصَّيَام بأدلة عامّة منها : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) وقال ﷺ : ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجَّ البيت ، وصوم رمضان))^(٢).

المطلب الثالث : أثر الصيام

الملاحظ أن الآية الكريمة ذكرت الحكمة من فرض الصوم وهي تحصيل التقوى إذ قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٣). التقوى ذلك الأمر الذي إذا ما نما في القلوب أحيها فيها مشاعر طيبة و ولد فيها أحاسيس كريمة ، فهي الحارس للقلوب عن إفساد الصَّوم بالمعصية . فالصَّيام عبادة بين العبد وربّه لا رقابة اجتماعية أو قانونية عليها ، فإذا ما أخلص العبد فيها نمت فيه خشية الله ، وتولدت في نفسه رقابة عالية ، وبذلك تتحقق التقوى فتمنعه

(١) سورة : البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان .

(٣) سورة : البقرة ، الآية : ١٨٣ .

من الغش والكذب والخديعة والخيانة .

و ظنّي أنّ حديث رسول الله ﷺ يوضّح ذلك حيث يقول : « مَنْ لم يدع قول الزّور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »^(١).

إذاً بهذه الغاية (التّقوى) تتهدّب الشّخصية ، و تتطهّر النفس من عيوبها ، و تُصان الجوارح عن المخالفات .

إضافةً إلى أنّ الصّوم له فوائد بدنية جمّة منها أنّه يريح المعدة طوال اليوم ولمدة شهر من عناء العمل طول العام . والملاحظ أنّ المعتادين للصّيام أصحّ أجساماً .

كما تتجلّى فوائده في ((أنّه مهّمّ خلا البطن عن اللّحم امتلاً من الحكم ، وليس من الحكمة أن يملأ من الفم ويمنع من الحكم، فالمؤمن إذا خلا بطنه صفا سرّه وأشرق نوره وبره))^(٢).

المطلب الثالث : حكم الصيام للطفل

عنوانه البخاري في صحيحه ب ((باب صوم الصّبيان)) وأورد حديث عمر حيث قال لنشوان وقد أفطر في رمضان : ((ويليكَ وصبياننا صيام)) فضربه .

قال ابن حجر في الفتح معلقاً على هذا الحديث : قوله ((صوم الصّبيان)) أي هل يشرع أم لا ؟ و الجمهور على أنّه لا يجب على مَنْ دون البلوغ .

و استحَب جماعة من السلف منهم ابن سيرين و الزهري وقال به الشافعي أنهم يؤمرون به للتّمرين عليه إذا أطاقوه .

و حدّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة .

وحدّه إسحاق باثنتي عشرة سنة .

وأحمد في رواية بعشر سنين .

(١) أخرجه البخاري و الترمذي و أبو داود و أحمد .

(٢) كامل موسى ، أحكام العبادات ، ص ٣٤٦ .

و قال الأوزاعي : إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حُمل على الصوم .
والأول قول الجمهور المشهور عن المالكية أنه لا يشرع في حق الصبيان .

ولقد تَلَفَّ المصنّف في التّعقب عليهم بإيراد أثر عمر في صدر الترجمة لأنّ أقصى ما يعتمدونه في معارضة الأحاديث دعوى أنّ عمل أهل المدينة على خلافها . ولا عمل يستند إليه أقوى من العمل في عهد عمر مع شدة تحرّيه و وفور الصحابة في زمانه و قد قال لذي أظفر في رمضان مؤثِّباً له : كيف تظفر و صبياننا صيام .
و أغرب ابن الماجشون من المالكية فقال : إذا أطاق الصيام الصبيان أَلْزَمَهُ ، فإن أظفر لغير عذر فعليهم القضاء^(١) .

المطلب الرابع : أثر الصيام في نفس الطفل

و النَّاطِر في أثر الصيام في نفس الطفل يرى أنّ الصيام :
١ - يهينُ الطفل فيعتاد ألا يتكلم كذباً و لا زوراً و لا غشاً و لا يمارس غدراً و لا خيانة و لا إيذاءً أو عدواناً على النَّاس في أموالهم أو أعراضهم .
و لقد أكّد رسول الله ﷺ أهمية الصيام الرّساليّة و فضله فقال : « الصيام جنة^(٢) ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله وشاتمه فليقل إنني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها »^(٣) .
٢ - يتعلّم النَّظام لأنّ المسلم في رمضان يأكل بنظام ، و ينام بنظام ، و يستيقظ بنظام .
و لذا فإنّك ترى أنّ النَّظام يتجلّى في المجتمع الإسلامي بأروع صورته في رمضان .

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، كتاب الصوم ، باب صيام الصبيان ، ص ٢٥٥ .

(٢) الصيام جنة : أي وقاية و حماية من كل الانحرافات .

(٣) أخرجه البخاري و أحمد بهذا اللفظ ، و غيرها بألفاظ أخرى .

٣ - يربّي الطفل تربية اجتماعية إذ يبعث فيه الأحاسيس المعبرة عن آلام الفقراء الجائعين طوال العام فيندفع بفعل الرباط الإيماني الذي يربطه بهم كي يتصدّق عليهم ويمنحهم من الخير الذي منحه الله إياهم .

٤ - ينطبع على الصبر والاستقامة .

٥ - تنمو في داخل الطفل المراقبة لله لأنّ الله وحده هو الذي يعلم صدقه في صيامه ، لأنّه

لو أفطر و ادعى الصيام لم يكشف كذب دعواه إلا الله . هذه المراقبة تدعم خلق الأمانة والصدق .

٦ - يعلم الإخلاص الحقيقي إذ لا يمتنع عن ملذّاته إلا إرضاء لربه .

خاتمة

وهذه العبادة مثل غيرها من عبادات الإسلام وأحكامه ، قد اتّضحت لنا بعض حكيمها وفوائدها ، و لعلّ العلم يكشف لنا المزيد من الحكم التي لأجلها فرض الصيام لأنّ الإسلام في عصر التّقدم العلمي لا يفتر عن إظهار ميّزاته العظيمة ومعجزاته لأنّه دين يقنع العقل ويتفاعل مع الفطرة السليمة .

المبحث الرابع :

الزكاة

المطلب الأول : تعريف الزكاة ، و دلالتها الإيمانية

١ - تعريف الزكاة

الزكاة لغة : النماء و الزيادة . يقال : زكا الزرع : إذا نما و زاد .
 و قد تطلق و يراد بها الطهارة و النقاء . و منه قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ^(١) .
 و كذلك تطلق و يراد بها المدح و الثناء . و منه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٢) .
 و تطلق كذلك على الصلاح و لذا يقال عن رجل صالح : رجل زكي .
 و سمي المال المخرج شرعاً بهذا الاسم لأنه يزيد في مال المخرج ، و يطهر نفسه من الشح و نفس
 الفقير من الحسد ، و يلقي به عند الله سبحانه الثناء ، و يوصف في الدنيا بالصلاح إذ أنه يساهم
 في خدمة مجتمعه و أبنائه .
 الزكاة شرعاً : تملك جزءاً مخصوص من مال مخصوص لشخص مخصوص عينه الشارع .
 أو حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص . ^(٣)

٢ - الزكاة الفريضة الإسلامية التي تربي الطفل على البذل والعطاء :

الزكاة من معناها اللغوي تتوالد الكثير الكثير من الإيماءات الجليلة النافعة . فهي
 التطهير من حيث اللغة ، و تأتي بمعنى الزيادة والبركة والمدح فقد قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ

(١) سورة : الشمس ، الآية : ٩ .

(٢) سورة : النجم ، الآية : ٣٢ .

(٣) د . وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ٢ / ٧٣٠ - ٧٣١ .

صَدَقَةَ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ .
 فمن معاني الزكاة يعبقُ أريج القيم العالية ، والصفات النبيلة فهي تطهير للمال ،
 ورفعة للإنسان المسلم إذا زكا بفعله الجميل الذي أخرجه من الأنانية وعبادة الذات لأنه بالزكاة
 يتخلّى عن قسم من ماله لمسلم آخر فقير ، مؤدياً عبادة مباركة فرضها الله على عباده .
 وجاءت آيات التنزيل منبهةً على فرضية الزكاة مقرونة بعبادة جليلة عظيمة أخرى هي
 رأس العبادات ألا وهي الصلاة . وهي علامة قاطعة من علامات الدخول في الإسلام ، وسمة بارزة
 من سمات الأخوة في الإسلام لذا قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
 فِي الدِّينِ ﴾ (٢) . لذا كانت فريضة على المسلم العاقل البالغ الحر المالك لمقدار معين من المال .

المطلب الثاني : الآثار التربوية لفريضة الزكاة على الفرد والمجتمع

١ - إن الغرائز ييطلب الإشباع بقطع النظر عن الطريقة التي يتم فيها هذا الإشباع .
 والإسلام قد أشبع غريزة التملك ، لكن بالطريقة الشرعية ، لكنّه مع إشباعه لهذه الغريزة شرع
 قيوداً من شأنها ضبط طريقة الإشباع إذ منع التملك من طرق محرمة كالربا والسرقّة والاحتكار
 وغيرها .
 وعلى الرغم من إباحة الإسلام للملكية بالطرق المباحة فقد فرض الزكاة كي تتربى النفس
 الإنسانية على الإيثار وحب الخير للناس لأن الله تعالى جعل الزكاة المالية حقاً للفقير له أن
 يطالب الغنيّ به .

واستجابة المؤمن لأداء هذه الفريضة كانت استجابة إرادية مطهّرة لنفسه من الطمع
 والأنانية ، و لذا استحقّ على فعلها ذلك الأجر والثواب العظيم كما ورد في الحديث الشريف عن
 حذيفة رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتنة ؟ قلتُ : أنا أحفظه

(١) سورة : التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة : التوبة ، الآية : ١١ .

كما قال . قال : إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجْرِيٌّ ، فكيف قال ؟ قلتُ : « فتنة الرَّجُلِ في أهله وولده وجاره تكفرها الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالمَعْرُوفُ » .^(١) فهي منهاج تربوي ، وعلاج عملي أصيل لضعف النَّفْسِ وتطهيرها من داء الشَّحِّ وَالأثْرَةِ وَعبادة المال^(٢) .

٢ - صحيح أَنَّ الزَّكَاةَ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَمِقْيَاسٌ كَاشِفٌ لِمَدَى طَاعَتِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُا تَغْرِزُ مَعَايِيرَ إِيمَانِيَّةٍ فِي حَيَاةِ النَّاسِ . فهي تطهير للنَّفْسِ وَالمَالِ ، وَتَطْهِيرٌ لِلْمَجْتَمَعِ مِنَ الحَقْدِ وَالكِرَاهِيَةِ . « وَ مِنْهُجِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي بِنَاءِ المَجْتَمَعِ لَا يَتْرِكُ المَالِ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ . فقد فَتَّتِ الثَّرْوَةَ بِالمِيرَاثِ ، وَقَرَّبَ المَسَافَةَ بَيْنَ الغَنِيِّ وَالفَقِيرِ بِالبِذْلِ وَ الزَّكَاةِ ، وَضَمِنَ الحَيَاةَ الكَرِيمَةَ لِلْفَقِيرِ بِكِفَالَةِ الدَّوْلَةِ ، وَ حَرَّمَ الرِّبَا حَتَّى لَا يَنْمُو المَالُ بِغَيْرِ جَهْدٍ »^(٣) .

٣ - وَ الزَّكَاةُ صَوْنٌ لِلْمَالِ مِنَ التَّلْفِ وَ الاندثارِ ، لِأَنَّهُ لَوْلَا إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ لَبَقِيَ هَذَا المَالُ مَلُوثًا مِمَّا يَجْعَلُهُ آيَالًا إِلَى التَّلْفِ ، إِذِ المَالُ المَلُوثُ نَهَايَتُهُ التَّلْفُ كَمَا أَنَّ المَالِ النُّقْيَ آيِلٌ إِلَى النُّمُوِّ وَ البركة^(٤) . وَهَذَا مُصَدِّقٌ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : « وَ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فيقول أحدهما : اللهم أعطِ مَنْفَقًا خَلْفًا . وَ يقول الآخر : اللهم أعطِ مَسَكًا تَلْفًا »^(٥) .

وَ يَعْلَمُ رَسولُ الإِسْلَامِ ﷺ الصَّحَابَةَ رِجَالًا وَنِسَاءً كَيْفِيَّةَ الإِنْفَاقِ .

فَهَا هُوَ يَعْلَمُ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ؓ الإِنْفَاقِ وَ ذَلِكَ فِيمَا رَوْتَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ المَنْذَرِ . عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْضِحِي أَوْ أَنْضِحِي أَوْ أَنْفِقِي ، وَ لَا تَحْصِي فِيحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَ لَا تَوْعِي فِيَوْعِي اللَّهُ عَلَيْكَ »^(٦) .

(١) أخرجه البخاري ، باب الصدقة تكفر الخطيئة .

(٢) سهام مهدي جبارة ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ص ٢٩١ .

(٣) محمد شديد منهج القرآن في التربية ، ص : ١٩٥ .

(٤) كامل موسى ، أحكام العبادات ص ٢٨٢ .

(٥) أخرجه مسلم ، باب المسك والمنفق .

(٦) أخرجه مسلم ، باب الحث على الإنفاق .

٤ - و الزكاة تسهم في تنمية قيم الأخوة و الود بين الناس ، إنها تول الحياة مجال تعاون لا معترك تلاحن . كما أنها تؤمن العاجز و الضعيف و القاصر و تشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب و وجوه و نفوس لا بين أظفار و مخالب و نيوب^(١) .

٥ - كما تظهر آثار الزكاة جلية في حل المشكلة الاقتصادية . فبهذه العبادة وقف الإسلام بالمسلمين في المشكلة المالية - شأنه في كل شرائعه - عند الوسط الذي يقيم شر الطغيان المالي المفسد الذي تتكدس به الأموال عند بضعة أفراد من الأمة ، مع حرمان كثرتها الغالبة ، و يقيم كذلك شر الفوضى الماكرة المخربة التي تضيع بها جهود الأفراد و تكدس الأموال في اليد الحاكمة باسم المجتمع^(٢) .

و ختاماً : اعتقادي لو أننا طبّقنا فريضة الزكاة بحزم و صدق و دراية لاستطعنا استئصال الفقر من بلادنا العربية و الإسلامية ، و لمحونا صورة التشرّد من مجتمعنا ، تلك الصورة الباعثة على الآلام ، المعبرة عن حالات التردّي التي نحن فيها نتقلّب . و في هذا يقول الربّي فاضل الجمالي : ((إنّ جمع الزكاة و الصدقات و توزيعها بنزاهة و عدالة هي تربية عملية واقعية . و إنّ المدرسة الحديثة تستطيع تربية الطلاب على جمع التبرعات و الصدقات في صناديق توضع عليها هيئة من الطلاب بإشراف مدرّس أو أكثر ، و توزع هذه الصدقات على مستحقيها بصورة منتظمة . ففي ذلك تربية روحية و اجتماعية ثمينة للجيل الصالح))^(٣) .

(١) ظلال القرآن ج ١ / ص ٤٠ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ص : ٩٢ .

(٣) فاضل الجمالي : الفكر التربوي في العالم الإسلامي : ص ١٠٧ .

المبحث الخامس :

فريضة الحجّ

المطلب الأول : تعريف الحجّ ، و دليل فرضيته

الحجّ ركن من أركان الإسلام . فيه يقصد المسلمون الديار المقدّسة ، يصعدون جبال عرفة في جانب مكة ، بالإضافة إلى الشعائر الأخرى التي شرعها الله تعالى لعباده ، تلك العبادة شرعت في زمن معيّن لغاية القرب من الله .

و جاءت الآيات الكريمة موضحة بأداء هذه الفريضة فقال تعالى : ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) و قال : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٢٦﴾ »

و أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا » فقال رجل : أكلّ عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، ثم قال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت » (٣)

(١) سورة : آل عمران ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة : الحجّ ، الآية : ٢٦ - ٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم ، باب فرض الحج مرة في العمر .

المطلب الثاني : حكم الحج للطفل

والحج الفريضة المقدسة افترضها الله تعالى على كل مسلم مستطيع حرّ بالغ .
 أما الصبي : فقد قال فقهاء الإسلام : ((إنَّ الصَّبِيَّ إِذَا حَجَّ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ فَعَلِيهِ الْحَجُّ إِذَا أُدْرِكَ لَا تَجْزِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَجَّةُ عَنِ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ . وَهَذَا قَوْلُ النَّوَوِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ . فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْ حَجَّ صَغِيرٌ حِجَّةً ، كَانَتْ عَلَيْهِ حِجَّةٌ إِذَا بَلَغَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (١) .

هل يجب الحج على الصبي المميز وغير المميز ؟

إنَّ مرحلة التَّمْيِيز تبدأ بسنِّ السابعة . ومعنى التَّمْيِيز أن يصبح الطفل يفرق بين الخير والشَّرِّ والضارِّ والنافع . و التَّمْيِيز يتفاوت بين ولد وآخر ، فقد يأتي التَّمْيِيز مبكراً وقد يأتي متأخراً .

وقد اعتبر بعض الفقهاء سنَّ التَّمْيِيز السابعة لأنَّ هذا الوقت هو الذي شرع فيه الشارع الحكيم أمر الأولاد بالصلاة إذ ورد أن السن الذي يؤمرون فيه بالصلاة هو السابعة فقد قال رسول الله ﷺ : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم بالمضاجع » (٢) . ففي هذا دلالة على أنَّ توجيه الخطاب للطفل في السابعة مناسب . ولا يشترط استجابة الطفل للأمر في هذه السن ، إنما يمكن اعتبارها بدءاً لسنِّ التَّمْرِين على أداء العبادات .

وعلى ذلك يمكن تعويده على أداء بعض الصدقات للفقراء ، وأن يمارس الصلاة والحج . مما سبق نستنتج أنَّ الحج لا يجب على الصبي (مميزاً أو غير مميز) . وإنَّ حجَّ الصبي المميز يصحّ و يكون تطوعاً لا يسقط عنه الفرض ، و يجب عليه الأداء بعد البلوغ و الاستطاعة بالاتفاق إذا لم يبلغ قبل الموت .

(١) خرجه ابن عدي في الكامل ، و البهقي في جمع الجوامع .

(٢) خرجه أبو داود ، السنن ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة .

دور المدرسة في تربية الطفل تربية تمكنه من معرفة أداء هذه الفريضة

إنّ معلمي المدرسة مسؤولون عن أطفالهم . فهم ينشؤون عقولهم ، و ينمونها بالفكر السليم و يغرسون فيهم حبّ الصّدق و الخير و الاستقامة .

و الحجّ فريضة يتجلّى فيها الإخلاص لله الواحد ، و تعمق فيهم حبّ الرّسول ﷺ الذي حجّ تلك البلاد و نشأ فيها .

و المدرسة بإمكانها أن تمثّل لطلابها الحجّ تمثيلاً ، و به يتقن التلميذ الصغير فرائض الحجّ و سننه و واجباته و آدابه .